سلسلة الماسية في البيئات المصرية

البيئة الزراعية

١

تأليف
محمد فوزى

Bibliotheca Alexandrina
0095076

المركز المصري للكتاب

٢٢
630.932
ف و ز
ن
٧١

نشأة الزراعة

(١)

تأليف
محمد فوزى
اعداد
هشام الصياد
مراجعة
هانى يوسف
كمبيوتر جرافك
محمد صلاح
محمد فاروق
رسوم
حسام الدميرى
الاشراف والاخراج الفنى
المركز المصرى للكتاب

المركز المصرى للكتاب
طباعة – نشر – توزيع
٧ ش الأمير – مدكور – فيصل
الفرع : ٨ شارع محمد ربيع – فيصل
تليفون / ٨٦٩٢٣٢
فرع المنصورة : ١ شارع فندق نيومارشال / السنبلاوين

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ / ١٩٩٦م

...mary (GOAL)

رقم الايداع
١٩٩٦ / ٧٣٣٢

I. S. B. N
977 - 5699 - 32 - 0

الناشر
المركز المصري للكتاب

الهيئة العامة لمكتبة الأسكندرية
رقم التصنيف 630.932 فوزن
رقم التسجيل ٣٩١٦

دَقَّ جَرسُ الهَاتفِ فَى مَنْزلِ سلْمَى وكَانَتْ المُتَحدِّثَةُ هِىَ صَدِيْقَتُهَا مَرْوةُ التِى أَلْقَتْ عَلَيْهَا التَّحيَّةَ ثُمَّ قَالَتْ فِى سَعَادةٍ

– لَدىَّ أَخْبَارٌ ساره يَاسلْمَى .

بَدَأ الاشْتِيَاقُ عَلَى صدِيْقَتنَا وَسَأَلَتْهَا عَنْ تِلْكَ الأَخْبَارِ السَّعِيْدةِ فأجَابتها بقولها – سَيُنَظِّمُ فَرِيْقُ الرِّحْلاَتِ بِالنَّادِى الصَّيْفِىِّ بِالمَدْرَسَةِ غدًا رِحْلَةً إِلَى المتْحَفِ الزِّرَاعِىِّ

سَعِدَتْ سلْمَى كَثِيرًا بَهذَا الخَبَرِ فَقَدْ كَانَتْ تَتَمَنَّى زِيَارَة ذَلِكَ المتْحَف مِنْ قَبْلُ وَهَاهِى أُمنِيتهُا قَدْ تحقَّقَ وَبَعْدَ أَنْ تَبَادَلَتْ الصَّدِيقَتَان حَدِيْثاً عَنْ الرِّحْلَةِ انْتَهَتْ المُحَادَثَةُ الهَاتِفِيَّةُ وَظَلَّتْ سلَمَى تَحْلُمُ بِزِيَارَةِ الغَدِّ

وَفَى اليَوْمِ التَّالِى انْطَلَقَتْ سَيَّارَةُ الرِّحْلاَتِ بِأَصْدَقَائِنَا وصديقاتنا مَعَ الأُسْتَاذِ ضِيَاءِ مُدَرسِّ الجُغْرَافْيَا والأُسْتَاذَة چِيْهَانِ المُشْرِفَةِ الاجْتِمَاعِيِّةِ بِالمَدْرَسَةِ فِى طَرِيْقِهَا إِلَى المتْحَفِ الزِّرَاعىِّ بِالدُّقِى وَدَاخِلُ المتْحَفِ اسْتَقْبَلَهُمُ أَحدُ المَسئُولِينْ بِهِ بِتَرحَابٍ شَدِيْدٍ ، ثُمَّ طَلَبَ مِنْهُ الأصدقاء أَنْ يُحدِّثَهُمْ عَنْ أَهَمِيَّةِ الزِّرَاعَةَ فِى مِصْرَ فَأَجَابَهمْ مَطْلَبَهُم ، وَقَالَ بِهدوءٍ تُعْتَبَرُ الحَضَارَةُ المِصْرِيَّةُ أَعْظَم حَضَارةِ إِنْسَانِيَّة عَرَفَهَا العَالَمُ وَقَدْ قَامَتْ وازْدَهَرَتْ أَسَاسًا عَلَى الزِّرَاعَةِ وَعَبْرَ التَّارِيْخ القَدِيْمِ وَالحَدِيْثِ ظَلَّتْ الزَّرَاعَةُ تَفْرِضُ نَفْسَهَا عَلَى مِصْرَ وَتُؤَثِّرُ عَلَى اقْتِصَادِهَا وَحَضَارتِهَا وأُسْلُوبِ الحَيَاةِ فِيْهَا هُنَا طَلَبَ تَامِرُ الإِذْنَ بِالحَدِيْثِ فَسَمَحَ لَهُ المَسئُولُ فَسَأَلَهُ

– تُرَى مَاهِىَ أَهَمِّيَّةُ المَتْحَفِ الزِّرَاعىِّ يَاسَيِّدِى ؟

أَجَابَهُ المَسْئُولُ بِقَولِهِ :-

- يُعْتَبـــرُ المَتحفُ الزِّرَاعِىُّ وَسِيلَةً لِتَقْدِيمِ رِسَالةٍ فِكْرِيَّةٍ وثقافيةٍ عَنْ طَرِيقِ عُرُوضِ المُجَسَّمَاتِ أَوِ النَّمَاذِجِ الحَيَةِ أَوْ المُصَنَّعَةِ ، لَخلقِ الوَعْيِ بِيْنَ طَبَقَاتِ الشَّعْبِ المُخْتَلِفَةِ وَنَشْرِ المَعْلُوْمَاتِ لِلمُحَافَظَةِ عَلَى الثَّرواتِ الطَّبِيعِيَّةِ ، والتُّرَاثِ كَمَا أنه يُعْتَبرُ مَرْجِعًا زِرَاعِيًا عَلَى مُسْتَوَى حَدِيْثٍ

- هُنَا سَأَلَتْهُ دَاليا فى اهتمام بالغ :

- نُرِيْدُ أَنْ نَعرِفَ قِصَّةَ الزِرَّاعَةِ ، وكَيْفَ بَدَأَتْ ؟

أَجَابَهَا المَسْئُولُ بِإِيمَاءَةٍ مِنْ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ :-

- لَقَدْ بَذَلَ أَجْدَادُنَا المِصْرِيُّونَ كَـــثِيـــرًا مِنْ الجَهْدِ ، وَالْعَرَقِ ، وَهُمْ يُكَافِحُونَ قُوَى الـــطَّبِيْعَةِ الـــتِى كَانَتْ تُصَادِفُهُم فِى حَيَاتِهِمْ واسْتِقْرَارِهِمْ بِالوَادِى والدِّلْتَا فَلَمْ تَكُنْ حَضَارَتُهُمْ العَظِيمَةُ الرَّاقِيَةَ إِلاَّ نَتِيجةً لِتضْحِيَّاتٍ كَثِيْرةٍ قَامُوَا بِهَا ، لِيَجْعَلُوَا مِنْ وَادِى النِّيْلِ مَكَانًا صَالِحًا لِلْحَيَاةِ .

- قَالَ هَذِهِ العَبـــارةَ - ثُمَّ صَمَتَ بُرْهَةً ، لِيَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ ، وَعَاد يَقُولُ وَسَطَ اهْتِمَامِ وَحَمَاسِ الجَمِيعِ فِى اسْتِطْرَادٍ :-

– وَتَدُلُّ الآثَارُ الـفِرْعَوْنِيَّةُ عَلَى أَنَّ الـفَلَّاحِيْنِ كَانُوَا عَلِى دِرَايَةٍ كَامِلَةٍ بِالعلُومِ الزِّرَاعِيَّةِ وَتَطْبِيْقَاتِهـا مِثلَ إِقَامَةِ الخَزَّانَاتَ لِتَخْزِيْنِ مِيَاهِ الرَّى ، واسْتِخْدَامِ الـقَنَاطِرِ وَمَقَايِيسِ الـمِيَاةِ عَلَى طُولِ الـنِيْلِ ، وَحَفْرِ الـتُرَع ، وحِرْصِهِمَ عَلَى التُّرْبَةِ الزِّرَاعِيَّةِ الخِصْبَةِ الَّتِى كَانَتْ يَتِمُّ تَجْدِيدُ خُصُوبَتِهـا

سنوياً بِمِيَاهِ الفيَضانِ الَّتِى كَانَتْ تَغْمُرُهَا .

قَالَ هَذِهِ العِبَارَةَ ، ثُمَّ صَمتَ بُرْهَةً وَعَادَ يَقُولُ :-

- وَكَانَ العُمَّالُ الزِرَاعِيُّونَ يُضِيْفُونَ كَمِّيَاتٍ كَبِيرَةٍ مِنْ فَضَلاتِ المَوَاشِى (السِّمَاد) ، لِزِيَادَةِ خُصُوبَةِ التُّرْبَةِ .

عَقَدَ الأُسْتَاذُ ضِيَاءُ سَاعِدَيْهِ أَمَامَ صَدْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ بِصَوْتٍ جَهُورِىٍّ رَنَّانٍ وَكَأَنَّهُ يُلْقِى مُحَاضَرَةً عَلَى أَسْمَاعِ الآخَرِيْن :-

- وَكَانَتِ الأَرْضُ تُزْرَعُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِى الشِّتَاءِ بِالقَمْحِ أوالشِّعِـــــيْر أوالبُقُولِيَّاتِ اوالخُضْرَوَاتِ أوالفَاكَهَـــةِ وَحَيْثُ تَتَوَافَرُ المِيَاهُ فِى الصيْفِ كَانَتْ تُزْرَعُ مَحَاصِيْلُ صَيْفِيَّةٌ كَالذُرَةِ الرَّفِيْعَةِ ، وَبَعْضُ الخُضْرَوَاتِ ،

ابْتَسمَ مَسْئُولُ المَتْحَفِ ثُمَّ قَالَ :-

- هَذَا صَحِيْحٌ يَاسَيِّدُ ضِيَاءِ .

قَالَتِ الأُسْتَاذةُ چِيْهَانُ فِى حَمَاسٍ بَالِغٍ :-

- وَيُعْتَبَرُ المِصْرِىُّ القَدِيْمُ أَوَّلُ مَنْ أَسَّسَ الـتَّخْطِيْطَ

العُمْرَانِىَّ الـمُلاَئِمَ لِلبِيـــئَةِ ، فَكَانَتِ الـمَسَاكِنُ تُبْنَى مِنْ الطِّيْنِ عَلَى أَشْكَالٍ بَيْضَاوِيَّةٍ ، أَوْمُسْتَدِيْرَةٍ ، أَوْ مُسْتَطِيْلَةٍ فِى خُطُوطٍ مُتَوَازِيَةٍ تَفْصِلُ بَيْنَهـــــا الشَّوَارِعُ ، وَهَذَا دَلِيْلٌ عَلَى وُجُودِ التَّخْطِيْطِ العُمْرَانِىِّ مُنْذُ القِدَمِ .

قَالَ مَسْئُولُ الـمُتْحَفِ :- أَنَا سَعِيْدٌ بِأَنَ لَدَيْكُمْ هَذَا الكَمِّ مِنَ الـمَعْلُومَاتِ

قَالَ هَذِهِ العِبَارَةَ ثُمَّ اسْتَطْرَدَ يَقُولُ :-

- ويُعَدَّ الـمِصْرِيُّونَ القُدَمَاءُ أَوَّلُ مَنْ صَمَّمُوا الصَّوَامِعَ بِطَرِيْقَةٍ هَنَدَسِيَّةٍ لِتَخْزِيْنِ الحبُوبِ فِيْهَا بِحَيْثُ لاتصلُ إِلَيْهَا الحَشَرَاتِ ، وَالـفِئْرَانِ مِمَّا يُتِيحُ عَمَلِيَّةُ التِّخْزِيْنِ السَّلِيمِ لِحبُوبٍ غَيْرُ مُلَوَّثَةٍ لِمُدَّةٍ طَوِيْلَةٍ .

وَفِى نِهَايَةِ الحدِيْثِ طَلَبَ الأَصْدِقَاءُ وَالصَدِيْقَاتُ أَنْ يَقُومُوا بِجَوْلَةٍ دَاخِلَ

المُتَحف لِزيَادَةِ مَعْلُومَاتِهم وَمشاهَدَةِ التَّمَاثِيْلَ الشَّمْعِيَّةِ المُنْتَشرةَ دَاخِلَ أبنِيَةِ المَتْحَف ، والتِى تُصَوِّرُ لَنَا الريف المصرى والعادات المنتشره به إلى جانب قِصَّةُ الزِّرَاعَةِ مُنْذُ أَيَّامِ الفَرَاعِنَةِ ، وَحَتَّى العَصْرِ الحَدِيْثِ .

وَعَلى الفَوْرِ وَافَقَ مَسْئُولُ المَتْحَفِ بِتْرحَابٍ شَدِيْدٍ وَهُوَ يَتَمنَّى لَهَمْ التُّوفِيقُ ، وَالتَّقَدُّمَ ، والازْدِهَارَ فِى حَيَاتِهِمْ ، وَمُسْتَقْبَلِهِمْ ، وَأَثْنَاءِ تَجْوالِهِمْ

فِي الـمَتْحَفِ الزِّرَاعِيِّ شَاهَدَ أَصْدِقَاؤُنَا مَرَاحِلَ الزِّرَاعَةِ مِنْ عَصْرِ مَاقَبْلَ التَّارِيخِ حَتَّى نِهَايَةِ العَصْرِ الفِرْعَونِّي كَمَا شَاهَدُوا أَيْضًا الزَّرَاعَةَ المِصْرِيَّةِ القَدِيمَةَ فِي العُصُورِ اليُونَانِيَّةِ ، وَالرُّومَانِيَّةِ وَالقِبْطِيَّةِ والإِسْلَامِيَّةِ بالإِضَافَةِ إِلى عَرْضِ المَجْمُوعَاتِ العِلْمِيَّةِ الذِى يَشْتَمِلُ مَشَاهِدُ مِنَ المُجْتَمَعِ الرِّيفِّي وطُرُقِ التَغَذِّيَةِ السَّلِيمَةِ وَعَرْضٍ لِلثَّرْوَةِ الحَيَوَانِيَّةِ ولِمَجْمُوعَاتِ حَشَرَاتٍ مِنْ رُتْبَةِ الفَرَاشَاتِ المُضِيئَةِ النَّادِرَةِ وَغَيْرِهَا ، ثُمَ شَاهَدَ الأَصْدِقَاءُ قَاعَةَ عَرْضِ الثَّرْوَةِ النَّبَاتِيَّةِ التِى تَضَمُّ عَرْضًا لِكَافَةِ أَنْوَاعِ المَحَاصِيلِ الحَقْلِيَّةِ وَالبُسْتَانِيَّةِ وَأَخِيرًا وَصَلُوا إِلى مَتْحَفِ البَهْوِ العَرَبِّي – وَهُوَ مُتَخَصِّصٌ بِعَرْضِ الزِّرَاعَةِ وَالحِرَفِ الرِّيفِيَّةِ وَاليَدَوِيَّةِ فِي بَعْضِ الدُّوَلِ العَرَبِيَّةِ .

وَخَرَجَ الأَصْدِقَاءُ إِلى حَدِيقَةِ المَتْحَفِ الزِّرَاعِيِّ ، وَهِيَ حَدِيقَةٌ مِنَ الطِرَازِ الفِرْعُونِيِّ وَرُوعِيَ فِي إِعْدَادِهَا ، وَتَنْسِيقِهَا اخْتِيَارَ النَّبَاتَاتِ وَالأَشْجَارِ بِحَيْثُ تَكُونُ صُورَةً لِمَا كَانَتْ عَلَيْهِ الحَدَائِقُ عِنْدَ الفَرَاعِنَةِ .

وبَعْدَ انْتِهَاءِ زِيَارَتِهِم لِلْمَتْحَفِ الزِّرَاعِيِّ اتَّجَهَتِ السَّيَّارَةُ بِأَصْدِقَائِنَا إِلَى إِحْدى قُرى مُحَافَظَةَ « الجِيزَةِ » لِيُشَاهِدُوا عَمَلِيَّاتِ الزِّرَاعَةِ وَحَصْدَ وجَنْى المَزْرُوعَاتِ المُخْتَلِفَةِ ، واسْتَقْبَلَهُم أَهْلُ القَرْيَةِ بِتَرْحَابٍ شَدِيدٍ وقَدَّمُوا لَهُم الأَطْعِمَةَ الرِّيفِيَّةَ الشَّهِيرَةَ كَالفَطَائِرِ وعَسَلِ النَّحْلِ والقِشْدَةِ والجُبْنِ والخُضْرَوَاتِ والفَوَاكِهِ الطَّازِجَةِ ، كَمَا إِسْتَمْتَعَ أَصْدِقَاؤُنَا بِمُشَاهَدَةِ طُيُورِ وَحَيَوَانَاتِ الرِّيفِ والمَزَارِعِ الخَضْرَاءِ البَدِيعَةِ والأَشْجَارِ والزُّهُورِ العَطِرَةِ والفَرَاشَاتِ ذَاتِ الأَلْوَانِ المُبْهِرَةِ ، كَمَا اسْتَفَادُوا مِنَ المَعْلُومَاتِ التِّي

جَمَعُوهَا مِنْ أَهْلِ القَرْيَةِ عَنْ الزِّرَاعَةِ فِي مِصْر وفِي نِهـــايَةِ رِحْلَتِهِم لِلْقَرْيَةِ عَادَ الأَصْدِقَاءُ إِلَى المدِينَةِ مَرَّةً أُخْرى وهُمْ فِي غَايَةِ السَّعَادَةِ ثُمَّ اتَّجَهُوا إِلَى مَرْكَزِ البُحُوثِ الزِّرَاعِيَّةِ والْتَقُوا بِأَحَدِ الأَسَاتِذَةِ المُتَخصِّصِينَ فِي الزِّرَاعَةِ بِالمرْكَزِ وطَلَبَ مِنْهُ الأُسْتَاذُ « ضِيَاءٌ » أَنْ يُحـــــدِّثَ الأَصْدِقَاءَ عَنْ تَارِيخِ الزِّرَاعَةِ فِي مِصْرَ فَرحَّبَ الأُسْتَاذُ بِذلِكَ كَثِيـــراً ، وبَدأَ يَشْرحُ لِلأَصْدِقَاءِ تَارِيخِ الزِّرَاعَةِ ، حَيْثُ قَالَ :

– ظَلَّتْ الزِّرَاعةُ المِصْرِيَّةُ فِي تَارِيخِهـا القَدِيمِ والوَسِيطِ مُقْتَصِرَةً عَلَى مَحاصِيلِ الحَقْلِ التَّقْلِيدِيَّةِ مِنَ الحُبُوبِ مِثْلِ القَمْحِ والشَّعِيرِ ومِنَ البُقُولِ مِثْلِ الفُولِ والعَدَسِ والحُلْبَةِ والحُمَّصِ ، ومِنَ العَلَفِ مِثْلِ البـــرْسِيمِ والتِّبْنِ ،

وعلَى مَحاصيلِ الصِّنَاعَةِ والدِّبَاغَةِ مِثْلِ الكِتَّانِ والقُرْطُمِ وغَيْرِهَا .

سَأَلَتْهُ « مَرْوَةُ » فِى اهْتِمَامٍ هَلْ اسْتَمَرَّتْ مِصْرُ فِى إِنْتَاجِ هَذِهِ المَحاصِيلِ فِى العَصْرِ الحَدِيثِ ؟

- أجَابَها الرَّجُلُ بِقَوْلِهِ

- فِى التَّارِيخِ الحَدِيثِ عَرَفَتْ مِصْرُ مِنَ الحُبُوبِ الأُرْزَ ومِنْ مَحاصِيلِ الصِنَاعَةِ والتِّجارةِ القُطْنَ وقَصبَ السُّكَّرِ وبَنْجَرَ السُّكَّرِ والعَلَفَ إِلَى جَانِبِ مَحاصِيلِ الخُضَرِ والفَاكِهَةِ والزُّهُورِ

- ولَقَدْ كَانَ الهَدَفُ مِنْ الزِّرَاعَةِ قَدِيمًا هُوَ سَدُّ حَاجَةِ الاسْتِهْلاَكِ المَحَلِّىِّ بَيْنَمَا فِى العَصْرِ الحَدِيثِ أَصْبَحَ الهَدَفُ فِيهَا زِيادَةَ الإِنْتَاجِ عَنْ حَاجَةِ الاَسْتِهْلاَكِ المَحَلِّىِّ وتَصْدِيرِ الفَائِضِ إِلَى دُوَلِ العَالَمِ الأُخْرَى وذَلِكَ يُوضِّحُ أَهَمِيَّةَ الإِنْتَاجِ الزِّرَاعِىِّ فِى الإِقْتِصَادِ المِصْرِىِّ .

قَالَ الأُسْتَاذُ « ضِيَاءٌ » :

- ولَقَدْ قَامَتْ فِى مِصْرَ أَعْظَمُ حَضَارَةٍ إِنسْانِيَّةٍ عَرَفَهَا العَالَمُ مُنْذُ آلاَفِ السِنِينَ ، وقَدْ نَشَأَتْ الحَضَارَةُ المِصْرِيَّةُ القَدِيمَةُ فِى وَادِى النِّيلِ ودِلْتَاهُ .

وهنا سَأَلَهُ « وَائِلٌ »

- تُرَى مَاهِىَ الأَسْبَابُ الَّتى سَاعَدتْ عَلَى هَذِهِ الحَضَارَةِ الـقَدِيمـةِ يَاأُسْتَاذُ ؟

- أَجَابَهُ الأُسْتَاذُ « ضِيَاءٌ » بِقَوْلِهِ

- هُنَاك عِدَّةُ عَوامِلَ أَدَّتْ إِلَى نَشْأَةِ الحَضَارَةِ الـمِصْرِيَّةِ القَدِيمَةِ مِنْهـا مَوْقِعُ مِصْرَ الجُغْرَافِىُّ .

بَدَتْ الدَّهْشَةُ عَلَى وُجُوهِ الجَمِيعِ وسَأَلَه « تَامِرٌ » فِى تَعجُّبٍ

- كَيْفَ ذَلِكَ يَاسَيِّدِى ؟

ابتسم الاستاذ (ضياء) ثم أجابه بقوله

مِصْرُنا الحَبِيـبَةُ تَتَمـتَّعُ بِمـوْقِعٍ جُغْرَافِىٍّ فَرِيدٍ فَهِى تَقَعُ فِى الرُّكْنِ الشَّمَالِىِّ الشَّرْقِىِّ مِنَ القَارَّةِ الإِفْرِيقِيَّةِ يَجْرِى بِهَا نَهْرُ النِّيلِ الَّذِى يَمْتَدُّ مِنْ مَنَابِعِهِ الاسْتِوَائِيَّةِ بِهَضَبَةِ البُحَيْرَاتِ بِوَسَطِ إِفْرِيقْيَا ومَنَابِعـهُ الحَبَشِيَّةِ فِى شَرْقِهَا حَتَّى مَصَبِّه فِى البَحْرِ المَتَوسِّطِ .

قَالَ هَذِهِ العِبَارَةَ ثُمَّ صَمتَ بُرْهَةً وأَرْدَفَ يَقُولُ :

- وتَتَّصِلُ مِصْرُ بِقَارَّةِ آسْيَا عَبْرَ أَرْضِ سَيْنَاءَ المـدْخَلُ الشَّرْقِىُّ لِمـصْرَ والبَحْرِ الأَحْمَرِ كَمـا يَحدُّهَا شَمَالاً البَحْرُ المـتَوسِّطُ الَّذِى يُعَدُّ بِمثَابَةِ حَلْقَةِ الاتِّصَالِ بَيْنَ مِصْرَ وبَاقِى الـدُّوَلِ الأُورُبـيَّةِ ولَقَد أدَّى كُلُّ ذَلِكَ إِلَى اتِّصَالِ مِصْرَ بِكُلِّ دُوَلِ العَالَمِ لِتَتَقَدَّمَ وتَرْقَى وتَصْنَعَ حَضَارَتَهَا العَظِيمَةَ .

قَال الأُسْتَاذُ وَسَطَ اهْتِمامِ الجَمِيعِ وتَشَوُّقِهِم

– ومِنْ أَسْبَابِ نَشْأَةِ الحَضَارَةِ المِصْرِيَّةِ القَدِيمَةِ أَيْضًا

– نَهْرُ النِّيل ، فَهُوَ الَّذِى أَمَدَّ مِصْرَ بِالمَاءِ والطَمْيِ فَسَاعَدَهَا عَلَى التَّحَوُّلِ مِن صَحْرَاء جَرْدَاءَ إِلَى جَنَّةٍ خَضْرَاءَ صَالِحَةٍ لإِنْبَاتِ الزَّرْعِ واسْتَطَاعَ الإِنْسَانُ المِصْرِىُّ تَنْظِيمَ حَيَاتِه بِإِقَامَة المَشْرُوعَاتِ كَحَفْرِ التُّرَعِ وتَنْظِيمِ رَىِّ الأَرْضِ ، كَنِظَامِ رَىِّ الحِيَاضِ بَعْدَ مَوسِمِ الفَيَضَانِ والاسْتِفَادَةِ مِنْ أَرَاضِى طَرْحِ النِّيلِ بَعْدَ إِنتِهَاءِ الفَيَضَانِ.

قَالَ هَذِهِ العِبَارَةَ ثُمَّ صَمَتَ بُرْهَةً لِيَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ واسْتَطْرَدَ قَائِلاً

– ثُمَّ أَخَذَتْ تَتَنَوَّعُ بَعْضُ الحِرَفِ الَّتِى تتصل بِالزِّرَاعَةِ وفِلاحَةِ الأَرْضِ وتَنْظِيمِ الرَّىِّ وحَصَادِ الزَّرْعِ وحِفْظِ المَحْصُولِ

سَأَلَتْهُ «دَالْيَا» فِى اهْتِمَامٍ بَالِغٍ

– وهَلْ هُنَاكَ عَوَامِلُ أُخْرَى سَاعَدَتْ عَلَى قِيَامِ الحَضَارَةِ فِى مِصْرَ

يَاسَيِّدِى ؟

أَوْمَأَ الرَّجُلُ بِرَأْسِهِ عَلامَةَ الإِيجَابِ وهُو يَقُولُ فِى ثِقَةٍ :

– بِالتَّأْكِيدِ يَا عَزِيزَتِى فَلَقَدْ سَاعَدَ المُنَاخُ أَيْضاً عَلَى ذَلِكَ بَدَّتِ الدَّهْشَةُ عَلَى الأَصْدِقَاءِ وتَسَاءَلَتْ « سَلْمَى »

– كَيْفَ سَاعَدَ المُنَاخُ عَلَى قِيَامِ الحَضَارَةِ يَاسَيِّدِى ؟

ابْتَسَمَ العَالِمُ ثُمَّ أَجَابَ « سَلْمَى » بِقَوْلِهِ :

– لَقَدْ سَاعَدَ تَنَوُّعُ مُنَاخِ مِصْرَ خِلالَ فُصُولِ السَّنَةِ عَلَى تَنَوُّعِ الغَلاَّتِ الزِّرَاعِيَّةِ وزِرَاعَةِ كَثِيرٍ مِنَ الغَلاَّتِ بِمَا يُنَاسِبُ الفُصُولَ مِنْ حَيْثُ الحَرَارَةُ وكَمِيَّةُ المَاءِ ، كَمَا سَاعَدَ جَفَافُ مِصْرَ وإِعْتِدَالُ مُنَاخِهَا على نشاط الانسان المصرى وقوة جسمه وقدرته على التَّحَمُّلِ والعَطَاءِ والجَهْدِ فِى العَمَلِ والزِّرَاعَةِ وحِفْظِ الحُبُوبِ .

قَالَ هَذِهِ العِبَارَةَ ثُمَّ صَمَتَ بُرْهَةً لِيَرَى رَدَّ فِعْلِ مَاذَكَرَهُ عَلَى وُجُوهِ الأَصْدِقَاءِ فَشَاهَدَ الحَمَاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فَأَرْدَفَ يَقُولُ :

– وأَدْرَكَ الإِنْسَانُ المِصْرِىُّ حَاجَتَهُ إِلَى ادِّخَارِ المَحَاصِيلِ وخَاصَّةً الحُبُوبَ بَعْدَ مَوْسِمِ الحَصَادِ للاسْتِفَادَةِ مِنْهَا والاعْتِمَادِ عَلَيْهَا بَاقِى شُهُورِ السَّنَةِ .

وفِى نِهَايَةِ الحَدِيثِ قَامَ الأَصْدِقَاءُ بِجَوْلَةٍ دَاخِلَ مَرْكَزِ البُحُوثِ الزِّرَاعِيَّةِ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا سَيَّارَتَهُمُ الَّتِى انْطَلَقَتْ بِهِمْ إِلَى المَدْرَسَةِ مَرَّةً أُخْرَى وفِى

الطَّريقِ

قَالَتْ « سلْمَى » مُحدِّثَةً أُسْتَاذَهَا

– قَديماً قَالَ المؤرِّخُ اليُونَانِيُّ (هيـــرُودوت) مَـقُولَتَهُ الشَّهيْرة (مِصْرُ هِبَةُ النِّيلِ) وحَديثاً قَال عُلَماءُ الجُغْرافْيَا : إنَّ (مِصْرَ هَبَةُ النِّيلِ الأَزْرَقِ) الَّذِى يَنْبُعُ مِن الهَضَبَةِ الحبَشِيَّةِ المُؤَرِّخُ المِصْرِىُّ الكَبِيرُ (مُحَمَّدُ شَفِيقُ غُرْبَال) فـقـالِ : إن مِصْرَ هِبَةُ المِصْرِيِّينَ) فَأىُّ مِنْ هَذِهِ الأَقْوَالِ الثَّلاثَةِ يُعْتَبرُ صَحِيحاً ؟ ؟

ابْتَسَمَ الأُسْتَاذُ ضِيَاءٌ فِي سَعَادَةٍ قَبْلَ أَنْ يُجـيبَ عَلى سؤال سلْمى ثُمْ قَالَ

– فِى الـبِدَايَةِ أَنَا فَخُورٌ بِكِ وَثَقَافَتِكِ الـوَاسِعَةِ يَا « سلْمَى » وأَرْجُو أَنْ تكُونَ كُلُّ أَصْدِقَائِى وصَدِيقَاتى فِى مِثْل ثَقَافَتِكِ وعَقْلِكِ الرَّاجِح .

وبَعْدَ ذَلِكَ اسْتَطْرَدَ يَقُولُ

– ويَجِبُ أَنْ تَعْرِفُوا يَاأَبـنَائـى أَنَّ الـنِّيـلَ لَمْ يَكُنْ دَائمـــاً نَهْراً سَهْلاً مَيْسُوراً فِي عطَائِهِ فَقَدْ كَانَ فـى أَيَّامِ الـفَيضَانَاتِ الـعَالـيَةِ نَهراً عَنِيفـاً مُدمِّرًا وَفِى أيَّامِ الفَيـضَانَاتِ المنْخَفِضَةِ نَهْرًا مُمِيـــتًا للزِّرَاعَةِ والإنْسَانِ والحَيَوانِ مَعًا

قَالَ « وَائِلٌ » فِي جِدِّيَّةٍ تَامَّة

– هَلْ تَقْصدُ يَاسَيِّدِى أَنْ النَّهْرَ وَقْتَ الفَيضَانِ العَالِى كَانَ يُغْرِقُ المَنَازِلَ والقُرَى والزَّرْعَ بِمِيَاهِه المُنْدَفِعَةَ الشَّدِيدَةَ ، وفِى وقْتِ انخفَاضِه كَانَ الزَّرعُ يَمُوتُ منْ قلَّةِ المَاء ، وكَذَلكَ الطَّيرُ والحيَوانُ والإنْسَانُ ؟ أومَأَ أسْتَاذُهُ برَأْسه علَامَةَ الإيجَابِ ثُمَّ قَالَ :

– أَحْسَنْتَ يَا «وَائِلُ» هَذَا مَا قَصَدْتُهُ تَماماً .

قَالَ هَذه العِبَارةَ ثُمَّ أَرْدَفَ يَقُولُ

– ولهَذَا لَم يُتْرك النَّهْرُ وشَأْنُهُ بَلْ احْتَاجَ إِلَى ضَبْط وتَنْظيم وجهَاد الإنْسَانِ المصْرِىِّ للإفَادَة منْهُ سَواءٌ فى أيَّام الفَيضَانَات العَاليَة أَوْ المنْخَفضَة ، ويُعْتَبرُ هَذَا الجهَادُ والكفَاحُ المُسْتَمرُّ للإنْسَانِ المَصْرِىِّ بمثَابَة حَجَرِ الأسَاسِ الَّذى قَامَتْ عَلَيْه الحَضَارَةُ المصْرِيَّةُ القَدِيمَةُ فَقَدْ كَانَ هَذَا فِى حَاجَة إِلَى العَمَل المُسْتَمرِّ المضْنىّ المُنَظَّم ، كَما كَانَ هَذَا العَملُ فِى حَاجَة أيضًا ليتعاونَ السُّكَانِ جَميعًا فِي سَبيلِ مُواجَهَةِ خطر الفَيضَانِ والقَضَاءِ عَلَيْهِ .

قَالَ هَذه العِبَارَةَ ثُمَّ صَمتَ بُرْهَةً لِيلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ واسْتَطْرَدَ يَقُولُ وَسَطَ اهْتِمامِ المُسْتَمِعينَ :

– منْ هَذَا يتَّضحُ أَنَّ مصْرَ فِي الحَقِيقَةِ « هِبَةُ النِّيلِ وهِبَهُ النِّيلِ الأَزْرَقِ وهِبَةُ عَقَلِ وإِبْداعِ وجِهَادِ الإِنْسَانِ المِصْرِيِّ عَلى حَدٍّ سَواءٍ .

وَأَخِيراً وَصلَت بِهِمُ السيَّارَةُ إِلَى المدْرَسَة مَرَّةً أُخْرَى لتُعْلِن انْتهاءَ رِحْلَتِهِم المُمْتِعَة وَعَادَ كُلُّ صَدِيقٍ وصَدِيقَةٍ إِلَى مَنْزِلِهِ فِي اشْتِيَاقٍ بالغٍ إِلَى رِحْلَةٍ جَدِيدَةٍ ومَعْلُومَةٍ جَدِيدَةٍ

سلسلة الماسية في البيئات المصرية

تهدف هذه السلسله الي تعريف القاريء والمواطن المصري وابنائنا وبناتنا ببيئات وطنهم مصر الغاليه ، التي استثمرها المصريون منذ قديم الزمن وعلي مر العصور ، ايمانا منهم بأمكانات بلدهم بما حباها الله سبحانه وتعالي من كنوز وثروات - وهذه السلسله تسير مواكبه لخطط التنميه الاقتصاديه والاجتماعيه التي نسير عليها ·· لتكون سلاحنا الذي سندخل به الي عالم القرن الواحد والعشرين ··

فسلسله البيئات المصريه لا غني عنها لمكتبه المواطن والاسره المصريه ومكتبه المدرسه والتي تتناول دراسه لامكانيات ·

البيئه الزراعيه ٥ جزء **البيئه الصناعيه** ٢ جزء

البيئه السياحيه ٤ جزء **البيئه البحريه** ٣ جزء

البيئه الصحراويه ٢ جزء

مع تحيات

المركز المصري للكتاب

الناشر
المركز المصري للكتاب